



لعة الاعتقاد

الفصل الدراسي الثالث

سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{بسم الله الرحمن الرحيم}

قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة عليه رحمة الله. الحمد لله الم محمود بكل لسان في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد.}

- العلماء الأوائل ألفوا في الفقه والحديث والتفسير، لكن تحديد موضع الأسماء والصفات والتأليف فيها إنما وقع منهم لما انتشرت البدعة الضالة من جهمية ومعتزلة وقدرية وجبرية وغير ذلك من أهل البدع، اضطر السلف الصالح إلى أن يضعوا منهجاً إسلامياً في صفات الله جل وعلا وأن يبينوا للناس أن الأسماء والصفات أمر ضروري يجب الإيمان به إيماناً كاملاً والتصديق به والعمل بمقتضاه.
- الإمام موفق الدين ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، هو من أعمال نابلس بالأردن، رحمه الله رحمة واسعة، ولد سنة خمس مائة وأربعين وتوفي ستمائة وعشرين، أي بلغ عمره ثمانين سنة، وله نشاط علمي كبير.

{ الحمد لله الم محمود بكل لسان }

- الحمد لله، الثناء على الله بما يستحقه، ولا أحد أحب إليه الثناء من الله من أجل ذلك أثني على نفسه، فالحمد لله الم محمود بكل لسان، الحمد لله الذي يحمده كل لسان، ناطق أو جامد، كل يحمده جل وعلا، ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44].
- وفي صفات الجوارح ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65]، كل شيء يسبح بحمده ويثني عليه ويعظمه جل وعلا، هو الم محمود بكل لسان، العربي والعجمي، الحيوان والجماد، الأشجار والأحجار، كلها تحمد ربها وتثني عليه، ولكن كما قال الله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

{قال: المعبود في كل زمان}

- المعبود في كل زمان، يعني أن كل الأزمنة من أولها إلى آخرها فالله هو المعبود بحق دون سواه، وهو المعبود بحق دون غيره، فإن الخلق منذ خلق آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، إنما وجدوا لأجل توحيد الله وإخلاص الدين لله، وعبادة الله وإذا فقد هذا الأمر من الأرض قامت الساعة، فالساعة لا تقوم إلا حتى لا يقال الله الله، بمعنى ما دام العبادة موجودة فالناس في خير، ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَذْيَ وَالْقُلَائِدَ﴾ [المائدة: 97].
- فإذا خلت الأرض من عبادة الله، ولم يبق فيها معظم لله ولا عباد لله فعندها تقوم الساعة، إذ لا خير في وجود الخلق، إذ وجودهم لأجل عبادة الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

{قال: الذي لا يخلو من علمه مكان}

- يعني بمعنى أنه جل وعلا محيط علمه بكل أحوال العباد، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61]، فكل أحوال الخلق يعلمها الله جل وعلا ويطلع عليها، لا يخلو من علمه مكان، قال الله عز وجل:

﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]، فعلمه الكامل محيط بكل شيء، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19]، فكل أحوالنا، وما ننطق بألسنتنا، ونعمل بأيدينا أو بأرجلنا، أو نفكر فيه في أنفسنا، فالله مطلع على ذلك ﴿إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ آل عمران: 29.

- والله جل وعلا محيط علمه بكل مكان، لا يمكن الاحتجاب عنه والستر عنه، بل هو مطلع عليك، على سرّك وعلايتك، لا يخفى عليه شيء، قال بعض السلف: لا تنظر إلى المعصية كمعصية ولكن انظر إلى من عصيت، فإنه مطلع عليك، وعالم بسرّك وعلايتك، تخفي عليه ما تخفي، قال الله ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: 108]، فالله جل وعلا علمه محيط بكل شيء، بكل مكان، وبأي مكان، يعلم النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل، لا يخفى عليه شيء، كل شيء بأمره وتدبيره.

قال: {قال: ولا يشغله شأن عن شأن}.

- ولا يشغله شأن عن شأن، يدبر الخلق كله، لا يشغله هذا عن هذا، ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، يقول: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألتة، ما نقص ذلك من عندي، إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر»، فالمهم أن الله -جل وعلا-.. يعطي هذا، يغني هذا، يفقر هذا، الأمر كله بيده، لا يشغله شأن عن شأن، الخلق كله بيده، لو أن أولكم وآخركم، قاموا في صعيد واحد سألوني، فأعطيت كل مسألتة إلى آخر الحديث، فالمهم أن علم الله -جل وعلا- بكل شيء، وأنه لا يشغله شأن عن شأن، هذا يسأله الرزق، وهذا يسأله العمل الطيب، كل يسأل سؤاله، والخلق كلهم يسألوا ويجيبه، ما تغير علم الله، فعلمه محيط بنا، بكل أحوالنا، فلماذا يجب أن نطيعه ونتقيه ونخافه ونحذره، ونعلم أنه مطلع علينا، لا يخفى عليه شيء من أمرنا، فلا نتجاهل أنفسنا، بل علمه محيط بنا ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10-12].

{قال: جل عن الأشباه والأنداد}.

- جل عن الأشباه والأنداد، فلا شبيه له، قال -جل وعلا-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فلا شبيه له، في الأحوال كلها، وإن تشابهت الأسماء مع اسم الرب -جل وعلا- فاسم الرب ما يليق به، واسم المخلوق ما يليق به، الله عليم، والمخلوق يوصف بأنه عليم، لكن علم الله ليس كعلم الخلق، علم الخلق قاصر، وعلم الله شأن عام، فعلمه علم كل شيء، لا يمكن أن يشابهه أحد في ملكه، ولا ند له، لا شريك في عبادته، قال الله -جل وعلا-: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]، وجعلوا لله شركاء ونظراء، فإن الله -جل وعلا- ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ولا يمكن أن يعدل غيره به -جل وعلا-، بل هو العالم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء.

{قال: وتنزه عن الصاحبة والأولاد}.

- قال -جل وعلا-: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، فتنزه عن الصاحبة، وعن الولد؛ لأنه خالق الخلق -جل وعلا-، خلقهم بغير مثال سابق، خلق الخلق كلهم، كلهم عبيده.. وقدره ﴿وَالْيَهُ تَرْجِعُونَ﴾ فلا ولد له، قال -جل وعلا-: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: 81]، فالله -جل وعلا- لم يكن له ولد، ولا زوجة، ولا شريك، ولم يلد، ولو يولد، هو أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطل، وهو بكل شيء عليم، يجب الإيمان بهذا إيماناً صادقاً راسخاً لا إشكال فيه.

{قال: ونفذ حكمه في جميع العباد}.

- ونفذ حكمه في جميع العباد، حكمه نافذ في العباد، يخلق ويحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويعز وينذل، حكمه ماضٍ في أمر خلقه، لا راد لحكمه، ولا مغير لأمره، فالحكم ماضٍ في خلقه -جل وعلا- على ما يريد -جل وعلا-، وله الحكمة في ذلك، فكل حكم من أحكامه، أو قضاء من قضائه.. كمال العلم، وكمال رحمته، وكمال العدل، وكمال العلم والحكمة،

والعدل والرحمة، يقول -جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 85]، فحكمه ماضٍ في كل الخلق، لا يرده شيء أبدًا، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

◀ {قال: لا تمثله العقول بالتفكير}.

- لا تمثله العقول بالتفكير، علمك مقصور ومحدود، فكرك في عقلك لا يمكن أن تحيط بشيء من علم الله، أن عبد من عبيد الله، مخلوق مربوب، لا تستطيع أن تشاهد الله بها، وأنه يجب الاعتبار والتفكير بخلق من مخلوقات الله، لنستدل على بها على عظمة الله -جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ [الأعراف: 185] إلى آخر الآية، فنظر المخلوقات لنستدل به على عظمة خالقنا، لكن نمثل الله في عقولنا أو بأفكارنا، لا، لا في فهمنا ولا في أفكارنا، ولا في أقوالنا.

{قال: ولا تتوهمه القلوب بالتصوير}.

- يعني ما تتوهمه العقل، تقول سمعه كذا وذاته كذا، لا تستطيع، أنت أؤمن به ربًا وخالقًا، أما كنه صفاته وحقائقها، فهذا الأمر يستغرب لعلمه، لا تدري عن شيء أبدًا، لا الأنبياء، ولا الملائكة ولا المرسلون، كل منهم لا يتصور الرب -جل وعلا-، إنما عليك الإيمان به، وبأسمائك وصفاته التي أرشدك إليها، أما أن تزيد أن تخرج عن حدك فلا، فلا يمكن أن تتصور عظمة الرب -جل وعلا-، الكون سماؤه وأرضه، وجباله وبحاره كله بيده، يمسك السماوات والأرض أن تزولا، كيف يتوهم هذا الشيء؟! كله من الخطأ، بل أؤمن به إيمانًا كاملاً مطلقًا أنه على كل شيء قدير، محيط بالخلق أجمعين، الخلق كله مضطرون إليه، وهو الغني الحميد عنهم، ما خلقهم من ذل، ولا.. من قل، ولا من ضعف، إنما خلقهم ليعبدوه وحده.

◀ {قال: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.

- ليس كمثله شيء مطلقًا، ثم قال: وهو السميع البصير، فأتيت له السمع والبصر يليق بجلاله، ثم قال: ليس كمثله شيء، فليس كمثله شيء يعني مطلقًا، لا يمكن أن يشبه الله -عز وجل- بخلقه، لا يمكن أن نتصور شيئًا من.. الله أبدًا، ولكن.. فقال: هو السميع البصير، فأتيت له السمع والبصر، وسمعه لائق به، فغير مشابه لخلقه، من يسمع دبيب النمل، على الصخرة السوداء، من يسمع الداعي، ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، قال الله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88].
 - فذا النون دعا ربه في ظلمة البحر، في ظلمة الحوت، ولكن يسمع كلامه، ويعلم حاله، صلوات الله وسلامه على النبي يونس -عليه السلام-. المهم أنه سمع نداءه، وهو فوق عرشه، وهو في بطن الحوت في البحار، سمع أنينه ودعاءه، فاستجاب دعاءه، حتى الملائكة قالوا: صوت معروف، في مكان غريب، قال: «ذاك عبيد يونس»، ثم أنقذه الله وأخرجه من البحر، كما قال الله: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 145] إلى آخر الآيات. فالمقصود أن لا يمكن أن نتصور شيئًا، ولا يمكن أن نفكر، بل علينا الإيمان والتقيد والسمع والطاعة، والكف عن ما لا يعيننا، والوقوف على ما يعيننا.
- وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

